يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

الثَّائِرُ الحُسَينِيُّ الوَفِيّ....المُخْتَارُ الثَّقَفِيّ

الحَلَقَةُ الثّانِيَةُ وَ العِشْرُونْ ٢٠١٥/٩/٨م

سَلامٌ عَلَيْكُمْ جَمِيْعَاً ..

إذَا كَانَ لَنَا قِصَّةٌ فِيْ الحَيَاة قِصَّتُنَا الحُسَين.. لِسَبَبٍ بَسِيطٍ وَوَاضِحٍ جِدّاً عَلَى الأَقَلِّ عِنْدَنَا.. الحُسَينُ الحَقِيْقَةُ الوَحِيْدَةُ فِي حَيَاتِنَا وَالبَاقِي كُلُّهُ سَرَاب.. حَاء سِين يَاء نُون مَتْنُ الْمُتُون.. وَكُلُّنا نَحْنُ وَمَا حَوْلَنَا.. وَمَا عِنْدَنَا وَعِنْدَ غَيْرِنَا.. مِن حَقٍّ أو بَاطِل.. فِيْ حَوَاشِي الحَوَاشِي..

.. يَا حُسَينْ ..

في الحلقةِ الماضيةِ والحلقات التي سبقتها كانَ هُناكَ تسليطُ ضوءٍ على الوجهِ التأريخي لثورة المُختار وشخصيّتِهِ، ومعَ كُلِّ النقائص الموجودة فيما جاءَ من بيانٍ في كُتبِ التأريخ مع كُلِّ الأمور التي مرَّت الإشارة إليها فيما تقدَّمَ من حديث بحسبِ قانون الحقائق وقانون الحقائق قانونٌ مُستلٌّ من آياتِ الكِتابِ ومِن أحاديثِ العِترة الطاهرة، الحقائقُ تحملُ قيمتها في نفسها.

(عَن إمَامِنَا الصَّادق عَنْ نبيِّنَا الأعظَم صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه وسَلَّم: إنَّ عَلَى كُلِّ حَقِيْقَةٍ وَعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نُوراً – كلامٌ واضح، لا يحتاجُ إلى كثيرٍ من الشرحِ والتفسير، الحقائقُ تحملُ قيمتها في نفسِها – **إنَّ عَلَى كُلِّ حَقِيْقَةٍ وَعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نُوراً** – ثُمَّ يشير نبيّنا الأعظمُ إلى قاعدةِ المعلومات التي وضعها لنا وهيَ القاعدةُ الأهم – **فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللهِ فَخُذوه وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللهِ فدَعُوه).**

هذهِ القاعدةُ نرجعُ إليها عندَ الالتباس – **إنَّ عَلَى كُلِّ حَقِيْقَةٍ وَعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نُوراً** – نفسُ المنطوق الواضح في الزيارةِ الجامعة الكبيرة: (**كَلَامكم نور**)، هو هو.

الحقائقُ تحملُ قيمتها في نفسها من خلالِ ما مرَّ علينا في المعطيات التأريخية، أعتقد أنَّ الناظرَ المُنصِفَ في كلِّ تلكِ المعطيات وقد بقيَ كثيرٌ منها لم يُذكَر لضيقِ الوقت ولمحدودية البرنامج، ومعَ ذلك فإنَّ الناظر بإنصافٍ للمعطيات التي ذُكِرت يخرجُ بقضيّةٍ واضحة: المُختارُ هاجسهُ الوحيد هاجسٌ حُسيني، المُختارُ صادقٌ مُخلِصٌ أنجزَ مهمَّتهُ على أتمِّ وجهٍ وختَمَ حياتَه بالشهادةِ، وقد استُشهِدَ معهُ من أقربائهِ ومن أرحامهِ كما يذكر المؤرّخون ما يقرب من خمسين وحتَّى زوجتهُ عَمرَة قَتَلَها مُصعَب بنُ الزبير بعد شهادتهِ رضوان الله تعالى عليه، وقطعوا رأسهُ وبعثوا به إلى ابن الزبير ذلك الماكرُ الخبيثُ البخيل، حاملُ الرأس حينَ جاءَ به إلى ابن الزبير، وانتظرهُ ليلةً كاملة حتَّى أَذِنَ لهُ في الدخول، فلمَّا قَدَّمَ الرأس بين يَدَيّ ابن الزُبير وطلب الجائزة وهو جاءَ بالرأس من العراقِ إلى الحجاز، إلى مكّة، فماذا قال له ابنُ الزبير وهو مبعوثٌ من أخيه مُصعب، قال لهُ: جائزتُك الرأس، خُذ الرأس لا حاجةَ لنا بهِ فهو جائزتُك.

القِصّة تطولُ وتَطول إذا ما أردنا أنْ نذهبَ في تفاصيلها وتبعاتها ومُلحقاتها، لكن بحسبِ هذا القانون، بحسبِ قانون الحقائق وهو أنَّ الحقائق تدلُّ بنفسها على نفسها وتحملُ قيمتها في داخلها، فحينَ النظرُ إلى سيرةِ هذا الرجل، إلى سيرة المُختار في هذه الفترة المحدودة، حدود سنة ونصف ما بينَ انطلاقة الثورة إلى ساعةِ استشهادهِ، هذهِ الفترة واضح وبشكلٍ عملي وبشكلٍ جلي أنَّ الهاجسَ الذي كان يسكنهُ هاجسٌ حُسينيٌ واضحٌ صريح.

هُناك مطالب أخرى أريد أن أتناولها حتَّى تكتمل الصورة، لأنَّ البرنامج أساساً هو تطبيقٌ عمليٌ لمنهجِ لحنِ القول في دراسةِ ثورة المُختارِ وشخصيّتهِ، وكما بيَّنتُ سلفاً منهجُ لحن القول؛ منظومةٌ من القوانين والقواعد مستلّةٌ من عمق ثقافةِ الكِتابِ والعِترة على أساسها يتولّدُ منهجٌ بحثيٌ ومنهجٌ نظريٌ فكريٌ عمليٌ لأجلِ فهمِ حقائقِ الكِتابِ وحقَائقِ حديثِ العِترة الطاهرة من دونِ أنْ يكون هناك انفكاك بينَ الكِتابِ والعِترة، لأنَّ الكتابَ والعترة لنْ يفترقا، ولن هُنا للنفي التأبيدي كما قالَ صلّى اللهُ عليهِ وآلِه: **لنْ يفترقا**، لابُدَّ من التطابقِ والتوافقِ والإلتصاق وأحدُهُما يشدُّ الآخر.

وفقاً لهذا التصوّر هُناك مجموعةٌ من القوانين مرَّ الحديثُ عن بعضها:

- قانونُ الأصلاب.
- قانون المكر.

وعناوين أخرى، عنوانٌ جديدٌ أطرحهُ في هذهِ الحلقة وإنْ مرَّ الحديثُ عنه أيضاً لكنّني ما أطلتُ الوقوف عنده، أريد أنْ أشرحهُ وأبيّنه بشكلٍ أكثر، بتوضيحٍ أكثر، ما اصطلحتُ عليه: (قانون التطهير الحسيني)، والمراد من هذا القانون أنَّ الذي يلتصقُ بالحُسينِ وتكون لهُ علاقة شديدة بسيِّد الشُهداء بقدرِ تِلك العلاقة الحُسين يُطهّرهُ، هذا هو المضمون العام والمُجمَل لقانون التطهير الحُسينيّ.

- **جذرُ هذا القانون من أين يبدأ؟**

جذرُ هذا القانون يبدأ من عقيدةٍ هي أساسٌ وجذرٌ أصيلٌ في معتقداتنا: وَلايةُ عليٍّ، حُبُّ عليٍّ توأمٌ لطهارةِ المولد، هذا المعنى واضحٌ كالشمس في ثقافةِ الكِتابِ والعِترة، حُبُّ عليٍّ في القلوبِ وفي النفوسِ توأمٌ لطهارةِ المولِد، ولا أريد أنْ أتشعّبَ في الحديثِ عند كُلّ نقطةٍ لأنّني أحاولُ أنْ ألخّصَ المطالب بقدرِ ما أتمكّن.

إذا ما ذهبنا إلى كلماتِهم، إلى زياراتهم، إلى أدعيتهم الشريفة، تتجلَّى هذهِ المضامين واضحة، في زيارةِ إمام زمانِنا صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه كيفَ نُخاطبهُ؟ هذا هو مفاتيحُ الجِنان بينَ يَدَيّ: (**أَشْهَدُ أنَّ بِوِلَايَتِكَ تُقْبَلُ الأعْمَال وتُزَكّى الأَفْعَال** – تُزَكّى؛ تُطهّر أو تنمو، هذا هو التطهُّر المهدوي، من لم يعرف إمام زمانهِ ماتَ ميتةً جاهلية، والميتةُ الجاهليةُ أبعد ما تكون عن الطُهرِ والطهارة والتطهُّر، وأقرب ما تكون إلى النَجَسِ والنجاسة والتنجُّس – **أَشْهَدُ أنَّ بِوِلَايَتِكَ تُقْبَلُ الأعْمَال وتُزَكّى الأَفْعَال وَتُضَاعَفُ الحَسَنَات وَتُمْحَى السَيِّئَات فَمَنْ جَاءَ بِوِلَايَتِك واعْتَرَفَ بِإِمَامَتِك قُبِلَت أَعْمَالُه وصُدِّقَت أَقْوَالُه وتَضَاعَفَت حَسَنَاتُه ومُحِيَت سَيِّئَاتُه** – أوضح مِصداق من مصاديقِ التطهُّر – **ومُحِيَت سَيِّئَاتُه وَمَنْ عَدَلَ عَنْ وِلَايَتِك وجَهِلَ مَعْرِفَتَك واسْتَبْدَلَ بِكَ غَيرَك كَبَّهُ الله عَلَى مِنْخَرِهِ فِي النَّار وَلَمْ يَقْبَل اللهُ لَهُ عَمَلاً ولَمْ يُقِمْ لَهُ يومَ القِيَامَةِ وَزْناً**) – العبارات واضحةٌ لا تحتاجُ إلى شرحٍ كثير، هذا هو التطهُّر، التطهُّرُ المهدوي هو التطهُّرُ الحسيني، هو

هو، لكن لأنَّ الحديثَ عن ثورةٍ حُسينيةٍ وعن انتقامٍ لدماءٍ حُسينيةٍ فكانَ العنوان هكذا: قانون التطهير الحُسيني.

في الزيارةِ الجامعةِ الكبيرة دستورُنا وقانونُنا الأكبر في معارفِ أهل البيت: (**وَجَعَلَ صَلاتَنا عَلَيْكُمْ وَما خَصَّنا بِهِ مِنْ وِلايَتِكُمْ طِيْباً لِخَلْقِنا** – طيباً؛ طهارةً – **طِيْبَاً لِخَلْقِنا وَطَهارَةً لأَنْفُسِنَا وَتَزْكِيَةً لَنَا وَكُفَّارَةً لِذُنُوبِنَا** – كُلُّ هذا هو التطهُّر، هذهِ مراتبٌ من التطهُّر – **طِيباً لِخَلْقِنَا وَطَهارَةً لأَنْفُسِنَا وَتَزْكِيَةً** – التزكيةُ هي عمليةُ تطهيرٍ ولكن بدرجةٍ من الدرجات، بنوعٍ من أنواع التطهير – **وَكُفَّارَةً لِذُنُوبِنا**) والكفّارةُ تطهيرٌ أيضاً.

وفي زيارةِ أئمّة البقيع صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين يتكرّرُ المعنى هُو هو: (**وَجَعَلَ صَلَاتَنَا عَلَيْكُمْ رَحْمَةً لَنَا وَكَفَّارَةً لِذنُوبِنَا وَاخْتَارَكُم اللهُ لَنَا وَطَيَّبَ خَلْقَنَا بِمَا مَنَّ عَلَينَا مِنْ وِلَايَتِكُم**) – طَيَّبَ خَلْقَنا، كَفَّارَةً لِذُنُوبِنا، التطييّب؛ تطهير، والكفّارةُ تطهير، هذهِ المضامين موجودةٌ على طول الخط، إنْ كان ذلك في الكتابِ الكريم بحسبِ تفسير أهل بيت العصمة، لا بحسب تفسيرِ علمائنا الذين نهجوا منهج المخالفين في تفسير القُرآنِ الكريم، بحسبِ تفسيرِ أهلِ البَيت، هذهِ المضامين على طولِ الكِتابِ الكريم من أوّلِهِ إلى آخرِه، كما قُلت: بحسبِ تفسيرِ أهل بيت العصمة، في كُلِّ زياراتهم تتجلَّى هَذهِ الحقائق، فِي كُلِّ أدعية التوسُّل والتقرُّب لأهل بيت العصمة تتجلَّى هذهِ المعاني واضحةً جليّةً بيّنة، في رواياتهم، في أحاديثهم، في خُطَبِهِم، الاقترابُ منهم اقترابٌ من الطُهر والطهارة، ومن أراد أنْ يتطهّر أنْ يقتربَ منهم، نصُّ القانون الذي قُلت، قانون التطهُّر الحُسيني واضح في زياراتِ الحُسين صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، على سبيلِ المثال في النص الذي يُقرَأ في الزيارات الرجبيةِ والشعبانية، ماذا نُخاطبُ سيِّد الشُهداء؟

أَشْهَدُ أَنَّكَ طُهْرٌ طَاهِرٌ مُطَهَّرٌ – طُهرٌ؛ هو أصلُ الطهارة، نحنُ حين نُخاطبه أشهدُ أنَّك طُهرٌ، الطُّهر هو مصدرُ الطهارة، طُهرٌ , الطُّهر؛ هوَ مصدرُ الطهارة، وطاهرٌ؛ هو الذي تلبّسَ بالطهارة، هذهِ صيغة فاعل، طاهر، ومُطهّر، أمَّا المُطَهَّر؛ فهوَ الذي يكونُ طاهراً في نفسهِ ومُطَهِّراً لغيرِه، ولو كانت هناك ألفاظٌ أخرى ترتبط بمضامين التطهير لوردت في الزيارة، لكن هي هذه اللغة، اللغة قاصرة، لا يُمكن أنْ تُحيطَ بطهارةِ الحُسينِ عليه السَّلام، اللغةُ قاصرة، اللغةُ محدودة، اللغةُ في مضامينها أوسعُ منّا، لكنَّها تتلاشى عندَ الحُسينِ

وآلِ الحُسين، اللغةُ بالنسبة لنا قد نجدُ فيها ألفاظاً نسمّيها صِيغُ المبالغة، وقد نجدُ فيها ألفاظاً نسمّيها صِيغ التفضيل، يعني هناك شيء أفضل من شيء، هُناك في اللغةِ صِيَغُ التفضيل، هُناك في اللغةِ صِيغُ المقارنة، هُناك صِيغُ المبالغة وسَمِّ ما شئت، هذا بالنسبةِ لنا، لأنَّ اللغةَ في مضامينها أوسعُ منّا وإنْ كانت تضيق في بعضِ الأحيان حتَّى بالنسبةِ لمضامينا، حينَ يفرحُ الإنسان لا يجدُ ألفاظاً تتّسعُ لمضمون فرحهِ كي يُعبّرَ عن فرَحهِ للآخرين، أو حِين يُصابُ بِمُصابٍ أو، أو... ولكن في الأعمِّ الأغلب مضامين اللغةِ بالنسبة لنا أوسعُ منّا، لكنَّها تتلاشى وتضيع عندَ حُسينٍ وآل حُسين، عندَ إمام زمانِنا تتلاشى، لذلك يضطرُ المعصومُ أنْ يُحدِّثَنا بلسانِ المُدَارَاة وما لِسانُ المُدَارَاةِ إلَّا هو دلالةٌ واضحة أنَّ اللغة تتلاشى عندَهُم، فلا يبقى أمام المعصومِ إلَّا أنْ يُكلّمني وأنْ يُكلِّمَكم بلسانِ المُدَارَاة.

أَشْهَدُ أَنَّكَ طُهْرٌ طَاهِرٌ مُطَهَّرٌ – يا حُسين – **مِنْ طُهْرٍ طَاهِرٍ مُطَهَّرٍ طَهُرْتَ وطَهُرَت بِكَ البِلَاد وَطَهُرَت أَرْضٌ أَنْتَ بِهَا وَطَهُرَ حَرَمُك** – وكلُّ شيءٍ يرتبطُ بك يَطهُر ويَطهُر وكلّما اقتربَ منك على النحوِ المادّي، كلّما كان التُراب أقرب إلى قبرهِ الشريف كلّما كانَ أشرف وأشرف، وكلما ابتعدنا عن قبرهِ الشريف تقلُّ منزلةُ ذلك التراب الكربلائي، وفي الجهة المعنوية كلّما اقتربنا كلّما عَلَت المراتب، لذا نُخاطبُ أنصار الحُسينِ الذين هم الأقرب إليه من عامّةِ البشر: (**السَّلامُ عَلَى الأَرْوَاحِ المُنِيخَةِ بِقَبْرِ أَبِي عَبْد اللهِ الحُسَيْنْ عَلَيهِ السَّلام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا طَاهِرِينَ مِنَ الدَّنَس** – هؤلاء طَهروا من الدَّنَس، متى طهروا؟ حين التصقوا بالحسين، قبل التصاقهم بالحُسين هل يُخاطَبونَ بهذا الخِطاب؟ وفيهم ما فيهم وعندَهُم ما عندَهُم، من ذنوبٍ وأخطاءٍ وجهلٍ ومعاصٍ وقُلْ ما تريد أنْ تقول، لكن حينَ التصقوا بِحُسينٍ هُنا بدأ قانون التطهير الحُسيني يشتغل – **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا طَاهِرِينَ مِنَ الدَّنَس)** – صلواتُ اللهِ عليكم يا أنصار الحُسين.

واضحٌ أنَّ علاقتنا بآلِ مُحَمَّدٍ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين مُبتنية في أصلها على الطينةِ والتي تقدَّمَ الحديثُ عنها في قانون الأصلاب، مُبتنيةٌ على الطينةِ فَنَحنُ خُلِقنا من فاضلِ طينتِهم، وهذا المضمون واضح؛ يفرحونَ لفرحنا ويحزنون لحُزننا، بقدرِ ما عندنا من فاضل طينتِهم تنشأُ العلاقة معهم صلواتُ اللهِ عليهم، يتولّدُ الفَرَحُ، ويتفعّلُ الحُزنُ بقدرِ تلك الطينةِ الموجودةِ في تكويننا، فبقدرِ ما عندنا من طينةٍ يتولَّدُ الحُزن الذي هو نحوٌ من أنحاءِ العلاقةِ معَ الحُسينِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، وهذا الحُزنُ إنَّما ينشأُ على أساسِ معرفةٍ

بالحُسين – (**مَنْ زَارَ الحُسَينَ عَارِفَاً بِحَقِّهِ – وَمَنْ بَكَى عَلَى الحُسَينِ عَارِفَاً بِحَقِّهِ**) – هذا التباينُ الكبير في الأحاديث التي تتناولُ الموضوعات المرتبطة بالحُسين، زيارةُ الحسين، الجَزَعُ على الحُسين، البكاءُ على الحُسين وسائرُ العناوين الأخرى، ما صار متعارفاً عليه في الوسط الشيعي بالخدمة الحُسينية، الخدمةُ الحُسينيةُ هذا العنوان الذي تعارف عليه الشيعة وهم يقصدون كُلَّ هذهِ المضامين التي مرّت الإشارةُ إليها والمضامين الأخرى الَّتي ترتبطُ بالجوِّ الحُسيني وتتفرَّع عن العلاقةِ فيما بينَ الشيعةِ وبينَ الحُسينِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، الأحاديثُ الكثيرة التي تختلفُ فيها مراتبُ الأجر ومنازلُ الثواب مردُّها إلى اختلافِ درجات الحُزنِ عندَ الشيعةِ الذي مردُّهُ إلى اختلافِ درجات معرفةِ الشيعة بإمامهم، فحينَ تختلِفُ درجاتُ المعرفة تختلِفُ درجاتُ الحزن , والحزنُ على أنواع وعلى مراتب، وباختلاف مراتبُ الحُزن على الحُسين تختلفُ درجاتُ الأجر ومنازلُ الثواب كذلك، فبقدر العلاقة بحُسينٍ يصلُ إلى الشيعي ذلك المقدار من التطهُّر، قد يصلُ إليه في الدنيا، قد يصلُ إليه عندَ الموت، قد يصلُ إليه في قبرهِ، قد يصلُ إليه في عرصاتِ يومِ القيامة، ليس بالضرورةِ أنْ ينالَ التطهُّرَ في الدنيا، وإلَّا ما معنى الشفاعة؟ الشفاعةُ هي تطهيرٌ وتطهُّرٌ، إذا أُريد منها الشفاعة الأخروية، هناك شفاعةٌ دنيوية لكن في الأعمِّ الأغلب حين يُطلَق هذا العنوان الذي يُتبادَر إلى الأذهان الشفاعةُ الأخروية، وما الشفاعةُ إلَّا مرتبةٌ من مراتب التطهُّر، الشفاعةُ الحسينية مصداقٌ من مصاديق قانون التطهير الحُسيني، فهناك تطهيرٌ في الدنيا وهناك تطهيرٌ ما بعد الدنيا، وهناك تطهيرٌ في الآخرة، وحديثي هنا عن التطهير في الدنيا، حينَ أوردتُ ذكر هذا القانون، قانون التطهير الحُسيني حديثي في هذهِ الجهة في جهة التطهير في العالم الدنيوي بالدرجة الأولى، لا يعني أنّني أغضُّ الطرف عن مراتب التطهير الأخرى إنْ كان ما بعدَ الدُنيا في مرحلة البرزخ أو في ساحات يومِ القيامة، لكن بالدرجة الأولى المقصود من التطهير الحُسيني في حديثي هنا هو التطهيرُ في الدنيا، وما مرَّ من كلماتٍ واضحةٍ في زياراتهم الشريفة يدلُّ على التطهير في العالم الدنيوي أوّلاً ثُمَّ تأتي المراتب الأخرى، أساساً جذرُ قانونِ التطهير يتحدّث عن التطهيرِ في العالم الدنيوي، كما قُلت بأنَّ محبَّة عليٍّ وآلِ عليٍّ توأمٌ طهارةِ المولد، وتلك هي البدايةُ في الحياة الدنيوية، يعني أنَّ البداية هي تطبيق لهذا القانون، حينما يخرجُ الإنسانُ إلى الدُّنيا إذا كانَ يحملُ في طيّاتهِ، في جنباتهِ، يحملُ حُبَّ عليٍّ وآلِ عليٍّ إنَّهُ في نفس الوقت يحملُ معهُ شهادة المنشأ، شهادةُ المنشأِ هُنا طهارةُ المولد، فحينَ يخرجُ الوليدُ إلى هذهِ

الدنيا وهو مُضمّخٌ بحبِّ عليٍّ إنَّها شهادة المنشأ وبإمضاءٍ صريحٍ واضحٍ من المالكِ الأصلي، هذه الشهادةُ تعني طهارة المولد.

ما نجدهُ جليّاً واضحاً صريحاً جدّاً في زيارة الصديقة الكبرى ونحنُ نُخاطِبُها: (**فَإِنَّا نَسْأَلُكِ إِنْ كُنَّا صَدَّقْنَاكِ** – يَا زَهْرَاء – **إِلَّا أَلْحَقْتِنَا بِتَصْدِيقِنَا لَهُمَا** – بتصديقنا لِمُحَمَّدٍ وعليٍّ، لَهُما؛ لِمُحَمَّدٍ وعليٍّ صلَّى اللهُ عليهِما وآلِهما، هي تُلحِقُنا – **فَإِنَّا نَسْأَلُكِ إِنْ كُنَّا صَدَّقْنَاكِ** – عملية الإلحاق بيدهَا، فهي القيّمَةُ على الدّين ومرَّ الحديثُ عن هذا المطلب في البرامج السابقة – **فَإِنَّا نَسْأَلُكِ إِنْ كُنَّا صَدَّقْنَاكِ إِلَّا أَلْحَقْتِنَا بِتَصْدِيقِنَا لَهُمَا** – أنا أقرأُ من مفاتيحِ الجنان من زيارة الزهراء صلواتُ اللهِ عليها – **إِلَّا أَلْحَقْتِنَا بِتَصْدِيقِنَا لَهُمَا لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنَا** – بأيِّ شيءٍ؟ – **لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنَا بِأَنَّا قَدْ طَهُرْنَا بِوِلَايَتِكِ** – يا زَهْرَاء – **لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنَا بِأَنَّا قَدْ طَهُرْنَا بِوِلَايَتِكِ**) – يا أُمَّ الحسن والحُسين، هو هذا التطهُّر المهدوي، التطهُّر الزهرائي، التطهُّر الحُسيني، وفي الحقيقةِ هذا التطهُّر هو التطهُّر الزهرائي، لكنّني قُلت قانون التطهُّر الحُسيني لأيِّ شيءٍ؟ قُلت هذهِ الكلمة باعتبار أنَّ الحديث عن المختار، عن ثورة المختار في أجواء الحُسين، لأنَّ البرنامج في أجواءِ الحُسين وإلَّا حقيقةً هو هذا القانون هو قانون التطهير الزهرائي، التطهُّر هنا هو التطهُّر الزهرائي – **لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنَا** – كما قرأتُ قبلَ قليلٍ في زيارتها – **لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنَا بِأَنَّا قَدْ طَهُرْنَا** – يا زهراء بأيِّ شيء؟ – **بِوِلَايَتِكِ** – فبقدرِ ما نرتبطُ بها والحُسينُ وسيلةٌ من وسائلنا للارتباطِ بها، الحُسين وسيلتُنا العُظمى للارتباطِ بأمِّ أبيها صلواتُ اللهِ عليها، بوابةُ الحسينِ بوابةٌ نَلِجُ منها، ندخل من هذهِ البوابة لنُشدِّد ارتباطنا ولنؤكّد علاقتنا بأمِّ الحسنِ والحُسين صلواتُ اللهِ عليهم جميعاً – **لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنَا بِأَنَّا قَدْ طَهُرْنَا بِوِلَايَتِكِ**.

نذهب إلى فاصلٍ وأعود بعد ذلك فالكلامُ له تفاصيل، عمّار الكِناني والسيِّدة رُقية صلواتُ اللهِ عليها.

عن إمامنا الصادق صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، حديثٌ الإمام يقول عنه: (يجب أنْ يُكتب هذا الحديث بالذهب)، إمامنا الصادق يقول بعد أنْ فاضت شِفاهُهُ الشريفةُ بهذه الكلمات، قال إمامنا الصادق: (يَجِبُ أنْ يُكْتَبَ هَذَا الحَدِيثُ بِالذَّهَب)، ما هو هذا الحديث الذي يَجِبُ أنْ يُكتَبَ بالذَّهب؟ إمامُنا الصادق يقول: (**نَفَسُ الْمَهْمُومِ لِظُلْمِنَا تَسْبِيح وهَمُّهُ لَنَا عِبَادَة وَكِتْمَانُ سِرِّنَا جِهَادٌ فِي سَبِيلِ الله**) – القاعدة

الأولى التي بيّنها إمامنا الصادق – **نَفَسُ الْمَهْمُومِ لِظُلْمِنَا تَسْبِيح** – والتسبيحُ ما هو؟ التسبيحُ تنزيهٌ، التنزيهُ تَطهِيرٌ، كلمة التسبيح أصلاً أُخِذَت في أصلها من السِبَاحة، والسِّبَاحةُ طهارةٌ ونظافة، أصلُ الكلمة إذا أردنا أنْ نذهب إلى أصلها أُخِذَت من السِّباحة، والسِّباحةُ تعني ماء، تعني طَهارة، تعني نَظافة – **نَفَسُ الْمَهْمُومِ لِظُلْمِنَا تَسْبِيح** – هذا هو السرُّ في هذا المضمون الذي يتجلَّى في زيارة الناحية المقدَّسة، ماذا يقول إمامُنا صلواتُ اللهِ عليه؟ – (**فَلَئِنْ أَخَّرَتْنِي الدُّهُورْ وعَاقَنِي عَنْ نَصْرِكَ المَقْدُور وَلَمْ أَكُنْ لِمَنْ حَارَبَكَ مُحَارِباً وَلِمَنْ نَصَبَ لَكَ العَدَاوَة مُنَاصِباً فَلَأَنْدُبَنَّكَ صَبَاحاً ومَسَاءاً وَلَأَبْكِيَنَّ لَكَ بَدَلَ الدُّمُوعِ دَماً حَسْرَةً عَلَيكَ وتَأَسُّفاً عَلَى مَا دَهَاك وتَلَهُّفاً حَتَّى أَمُوتَ بِلَوعَةِ المُصَاب وغُصَّةِ الِاكْتِيَابْ**) – هذا المعنى في هذه العبارات، في هذه الكلمات الوجيزة عن أيِّ شيءٍ يتحدَّث؟ إنَّهُ يتحدَّث عن أعلى درجات الحُبِّ وأعلى درجاتِ التأثُّر وأعلى درجاتِ الجَزَع وأعلى درجات الحُزن وأعلى درجات التأوُّه وأعلى درجات الحسرَة وأعلى درجاتِ البُكاء وأعلى وأعلى وأعلى... أئمّتنا ذواتٌ تُشرِقُ طهارةً وتطهُّراً وتطهيراً، ذوات طاهرة بنفسها فتُشرقُ طهارتُها، وذوات تُطهِّرُ غيرها فيُشرقُ تطهيرُها، إمامُ زمانِنا ذاتٌ تُشرِقُ طهارةً وتطهيراً وتطهُّراً كما مرَّ قبلَ قليل في زيارة سيِّد الشُهداء – (**أَشْهَدُ أَنَّكَ طُهْرٌ طَاهِرٌ مُطَهَّرٌ مِنْ طُهْرٍ طَاهِرٍ مُطَهَّرٍ**) – وهذا الحديثُ معهم جميعاً، معَ أنَّ العبارات هنا قاصرة، معَ أنَّ اللغة هنا ضيّقة، معَ أنَّ المضامين الحقيقية ليست موجودة، هذهِ المضامين الموجودة بحسبِ مداركنا، لأنَّ اللغة كما قُلتُ تتلاشى عندهم وتضيع وتنتهي وتفنى، هذه العبارات تتحدَّث عن كلِّ هذهِ المعاني التي مرَّت الإشارة إليها في أعلى رُتَبِها، الإمام هُنا يُشرق طهارةً وتطهُّراً، هذه الطهارة والتطهُّر هو هذا الحزن، هو هذا الألم، فَكُلَّما ارتبطنا بحُسينٍ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وكانَ الحزنُ وكانَ الألم، يتحقَّق هذا المعنى: (**نَفَسُ الْمَهْمُومِ لِظُلْمِنا تَسْبِيح**)، حِين تتركَّز هذهِ المعاني نحنُ نقترب من حُسينٍ فحين نقترب، نقترب من نبعِ الطهارةِ والتطهُّر، حينئذٍ نتطهَّر، هذا الألمُ الحُسينيُّ وتلك الحرارةُ التي لا تبردُ أبداً كما يقول خاتَمُ الأنبياء صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه، هو هذا الذي يكونُ سبباً للطهارةِ وللتطهُّر، حينَ نرجعُ إلى أحاديثنا وإلى رواياتنا وهم يُحدِّثوننا عن الأنبياء، لا مجالَ في البرنامج أنْ أوردَ كيفَ كانت علاقة الأنبياءِ بحُسينٍ وبالألم الحُسيني، فقط أشير إلى نموذج واحد، الوقت لا يكفي لأنْ أتناول جميعَ ما وردَ في أحاديثِ أهل بيت العصمة.

هذا هو كاملُ الزيارات عن إمامنا الصادق صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، يقول إمامنا الصادق: (**إنَّ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً﴾ لَم يَكن إسماعيل ابنَ إبراهيم** – نبيٌّ آخر اسمهُ إسماعيل، إسماعيلُ صادقُ الوعد ليس هو إسماعيل ابن إبراهيم – **بَلْ كَانَ نَبِيّاً مِنَ الأَنْبِيَاء بَعَثَهُ اللهُ إِلَى قَومِه فَأَخَذُوه فَسَلَخُوا فَرْوَةَ رَأسِهِ وَوَجْهِه** – الفروة يعني الجلد، سلخوا جلد رأسهِ، البشرة التي على رأسهِ وعلى وجهه سلخوها – **فَسَلَخُوا فَرْوَةَ رَأسِهِ وَوَجْهِه فَأَتَاهُ مَلَكٌ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى فَقَال: إنَّ الله بَعَثَنِي إِلَيك فَمُرْنِي بِمَا شِئْت** – ماذا أفعلُ بِهِم؟ وماذا أفعلُ لك؟ – **فَقَالَ: لِي أُسْوَةٌ بِمَا يُصْنَعُ بِالحُسَين** – صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه).

قِصَّةُ الحُسينِ قِصَّةٌ أُخرى، وحديثُ الحسينِ حديثٌ آخر، مهما حاولنا أنْ نقترِب من أسرارها في نفسِ الوقتِ نبتعدُ عنها لأنَّها وسيعةٌ جدّاً ومهولةٌ جدّاً وعظيمةٌ جدّاً ومُصيبةٌ جدّاً ورزيةٌ لا تُماثلُها رزية وأسراراً لا تُماثلها أسرار، وكلُّ ما تتحدَّثُ عنهُ الرواياتُ إشاراتٌ وإشاراتٌ من بعيد، قِصَّة الحسينِ قِصَّةٌ لا يعرف مضمونها إلَّا الحُجَّةُ بن الحسن صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، من هُنا كان الثأر الحُسينيُ مهدوياً، لا المُختار الثقفي ولا غير المختار الثقفي ولا الأنبياء ولا الأوصياء يُؤهَّلون لأنْ يُدركوا الثأر الحُسيني، الثأر الحسيني لهُ واحدٌ فقط إسمهُ الحُجَّةُ بن الحسن، نَفسُ مُحَمَّدٍ صلّى اللهُ عليهِ وآلِه، نَفْسُ عليٍّ، نَفسُ فاطِمة، نَفسُ الحَسَنِ، نَفسُ الحُسينِ، أوّلُهم مُحَمَّد وأوسَطُهم مُحَمَّد وآخرهُم هو آخرهم مُحَمَّد صَلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم أجمعين، هذا هو مرادي من قانون التطهير الحُسيني، إنَّهُ التطهيرُ المهدوي، إنَّهُ التطهيرُ الزهرائي، أصلُ هذا القانون هو قانون التطهير الزهرائي.

في كامل الزيارات لشيخنا ابنِ قولويه عن إمامنا الصادق صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه: (**وَمَا مِنْ عَيْنٍ أَحَبُّ إِلَى الله وَلَا عَبْرَةٌ مِنْ عَينٍ بَكَتْ وَدَمَعَتْ عَلَيهِ وَمَا مِنْ بَاكٍ يَبْكِيه إِلَّا وقَدْ وَصَلَ فَاطِمَةَ وأَسْعَدَهَا عَلَيه**).

رواية ثانية الإمام الصادق يقول لأبي بصير: (**يَا أَبَا بَصِير إنَّ فَاطِمَةَ لَتَبْكِيه وَتَشْهَق فَتَزْفِرُ جَهَنَّم زَفْرَةً** – إلى آخر الرواية، إلى أن يقول أبو بصير بعد أن يسمع عظيمَ الأمرِ عن الحُزنِ الحسيني – **قُلْتُ: جُعِلتُ فِدَاك إنَّ هَذَا الأَمْرَ عَظِيم، قَالَ: غَيرُهُ أَعْظَمُ مِنْه مَا لَمْ تَسْمَعه** – هذا الذي ذكرتهُ قبل قليل وقُلت قِصّةُ

الحسينِ قِصّةٌ أخرى – **جُعِلتُ فِدَاك إنَّ هَذَا الأَمْرَ عَظِيم** – إنَّ أمرَ الحُسينِ عَظيم – **قَالَ: غَيرُهُ أَعْظَمُ** – أنتَ ما عرفتَ شيئاً – **غَيرُهُ أَعْظَمُ مِنْه مَا لَمْ تَسْمَعه، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا أَبَا بَصِير أَمَا تُحِبّ أنْ تَكُونَ فِي مَن يُسْعِدُ فَاطِمَة فَبَكِيتُ حِينَ قَالَهَا فَمَا قَدَرتُ عَلَى النُّطْق ومَا قَدرَ عَلَى كَلَامِي مِنَ البُكَاء)** – إلى آخر الرواية – **يَا أَبَا بَصِير أَمَا تُحِبّ أنْ تَكُونَ فِي مَن يُسْعِدُ فَاطِمَة** – هذا هو الحزنُ الزهرائيُّ المهدويُّ الحُسينيُّ.

وهذا الحزنُ الذي يُطهّرنا، وهذا الحُزن الذي يُطَهِّرُ كُلَّ مَن اتَصَلَ به، كُلَّ مَن تَواصَلَ به بشرطِ أنْ يكون هذا الحُزن على معرفةٍ، أئمَّتُنا يُطالبونَنا بالمعرفة – **(مَنْ بَاتَ لَيْلَةً وَاحِدَة لا يَعْرِفُ فِيْهَا إِمَامَ زَمَانِه مَاتَ مِيْتَةً جَاهِلِيَّة)** – هذا الأمرُ يجري عليهم جميعاً، ليسَ الحديثُ عن إمام زمانِنا فقط، صحيحٌ جوهر الأمر إمام زمانِنا بالنسبةِ لنا، لكنَّنا كيف نعرفُ الآخر ما لم نعرف الأوّل، وكيف نعرف الأوّل ما لم نعرف الآخر، هم هكذا يقولون، لِذا حينَ نخاطبهم في زياراتهم: **(مُؤْمِنٌ بِأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُم)**، لا نستطيع أنْ نعرفَ الآخر من دونِ الأوّل ولا نستطيع أن نعرف الأوّل من دونِ الآخر صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين، إذا كان الارتباط بهم و بالجزعِ الحُسيني وبالمشروع الحُسيني بنحوٍ أشدّ كان التطهُّر أشدّ وأشدّ وأشدّ، هذا القانون طبِّقوهُ على ما سمعتم من سيرةِ المُختار وماذا كانَ يفعلُ الرَّجُل.

مُسلم ابنُ عقيل قائدُ المشروع الحُسيني الأوّل في العراق أوّل ما وصل ذهب إلى المُختار، ومن يقرأ سيرة المُختار يكونُ على يقينٍ أنَّ المُختار لو كانَ قادراً للوصول إلى كربلاء لَمَا تأخَّر عن ذلك لحظةً واحدة، وطالَ بكاءُ المُختارِ في سجنه، وازداد بكاؤه بعد أن خرج وقرأنا في مروج الذهب للمسعودي، هو هكذا يقول بأنَّهُ كان يُظهِرُ البكاء والحَنين والأنين، المسعودي يُشكِّكُ في ذلك، لكنَّ الحقيقة في أنَّهُ كان يبكي بجزعٍ ولوعةٍ وحين نتتبَّع أيّام ثورتهِ لقد بكى وبكى طويلاً، مع أنَّ كتب التأريخ ما نقلت لنا الحقائق كاملةً، وردتنا مجزوءةً تلك الحقائق مع حقدٍ وتشويهٍ لشخصيّة المختار، ولكن بقيت هذه الصفة واضحة في كتب الذين أرّخوا لهُ من المخالفين ومن غيرهم، كُلَّما جاءوه بِمُجرمٍ من قَتَلَة الحُسين يُقيم عليه القَصاص، كان يبكي ويبكي، عندَ كُلِّ مُحاكمةٍ وعندَ كُلَّ إقامة جزاءٍ عادلٍ، وأقل من جزائهم الذي يجب أنْ يجري عليهم، ولكن هو هذا المتوفِّر بيدِ المُختار، كُلَّما كان يُقيم جزاءاً لأحدٍ من هؤلاء المجرمين كان يبكي ويبكي، فلقد بكى وبكى وسجدَ وسجدَ شُكراً وبقيَ طيلة أيّامِ ثورتهِ على هذا الحال إلى أنْ قضى شهيداً مضمّخاً بدمائهِ، ألا

يَكونُ هذا مِمّا يُسْعِدُ فاطِمة؟ ألا يُسعد فاطمة أنَّ الهاشميات ما اختضبن ولا اكتحلنَ وحتَّى غير الهاشميات في بيوتِ بني هاشم ولا رُأي دُخانٌ في بيوت الهاشميين، كبقيّة الناسِ يأكلون ويطبخون، إلى أنْ قتلَ المختارُ عُبيد الله بن زياد ومن معهُ من الُّلعناء، ألا يُسعِدُ هذا فاطمة؟ إذا كانت دمعة فيما بيني وبين نفسي في حُجرةٍ في داري تنزلُ على الحُسين يُعدُّ هذا إسعاداً لفاطمة كما تقول الروايات فما بَالُك بهذا العَمَلِ الكبير الذي قام به المُختارُ الثقفي ودموعهُ سافحةٌ على الحُسين، ألا يُسعد ذلك فاطمة؟ ألا يُقرّب ذلك المُختار من دائرة الطهارة والتطهُّر الحُسيني؟ هل يقبلُ الوجدانُ بهذا المنطق أو يرفضُ الوجدانُ هذا المنطق؟ مع كُلِّ المعطيات المتقدِّمة أعتقد أنَّ المختار هو من أعلى المصاديق التي ينطبقُ عليها ويتجلَّى فيها قانون التطهير الحُسيني.

قانونٌ آخر من القوانين الواضحة جدّاً في كلمات القُرآنِ وفي كلمات العِترة الطاهرة، قانونٌ اصطُلِح عليه: (**قانون الرموز والإشارات والمعاريض**)، في سورةِ آلِ عمران وفي قِصّةِ زكريا النبي: ﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً** ﴾ن الكلامُ الرمزي من دونِ حروف، من دونِ ألفاظ، من دونِ أصوات، وقد يكونُ بطريقةٍ ملفوظةٍ لكنَّ هذهِ الألفاظ ليستْ الألفاظ التي اعتاد الناسُ على استعمالها، الآية هُنا تتحدّث عن عدمِ وجودِ ألفاظٍ أو أصوات – ﴿ **قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً** ﴾، هذا أسلوبٌ من أساليب الأنبياء، نحنُ هنا نتحدَّثُ عن نبيٍّ يُخاطبُ أُمَّته بهذهِ الطريقة وفي مناسبةٍ مهمَّةٍ وهي أنَّ الله سيرزقهُ بوصيٍّ لهُ، بنبيٍّ، بوصيٍّ ووراثٍ وفي نفس الوقت هو نبي، النَّبيُّ يحيى.

في سورة مريم، ماذا تبدأ سورةُ مريم بعد البسملة: ﴿ **كهيعص** ﴾، وعن إمام زمانِنا صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه: (كاف كربلاء، وهاء هلاكُ العترة، وياء يزيد قاتِلُ الحُسين، وعين عطشُ الحُسين، وصاد صبرُ الحسين، هذهِ رموزٌ كما أنَّ الحروف المُقطعة في كلِّ السُور القُرآنية هي رموز: ﴿ **كهيعص** – ما هو هذا؟ – **ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا** ﴾، زكريا كان يذكرُ الله بهذا الذكر، هذا هو ذكرُ زكريا لله، من ذكرهم ذكرَ الله، من

أطاعهم أطاع الله، من أحبّهُم أحبَّ الله، بل هم الذكرُ الأكبر في الكتابِ الكريم، ذكرُ الله الأكبر في القُرآن هم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين، رواياتهم صريحةٌ بذلك، الوقت لا يكفي لتسليط الضوءِ على كلِّ المطالب في نفسِ الوقت – ﴿ **كهيعص** ﴾ – هذا هو ذِكرُ النبي زكريا، إقرأوا الآيات – ﴿ **كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا** ﴾ مثلما نرفع ﴿ **كهيعص** ﴾ قولوا: سبحان الله ذكرُ رحمة ربِّكَ عبدَهُ زكريَّا، ماذا تفهمون إذا قرأتم هكذا؟ سُبحان الله ذِكرُ رَحْمَّة رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا، يعني أنَّ زكريا كان ذكرهُ سُبحان الله، الآن الموجود في الكتابِ الكريم ما هو؟ ﴿ **كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا** ﴾ – الروايةُ عن إمامنا الحُجَّة مُفصَّلة لكن المقام لا يسع لذكرِ كُلِّ التفاصيل.

في الآيةِ العاشرة من سورة مريم بعدَ البسملة: ﴿ **قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ** ﴾ – الرَّمز؛ الوحي، فأوحى إليهم من دونِ كلام.

﴿ **فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً** – الخطاب لمريم – **فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً** – لا تُوجَد كلمات – **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ** – إشارة – **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ** – من دونِ كلام – **قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً** ﴾ – مريمُ الصدِّيقةُ هنا أيضاً ما تكلَّمتْ.

هذا أسلوب عندَ الأنبياء وفي مواضع مهمّة جدّاً ولادة المسيح وفي حالةٍ تُتَّهَمُ فيها الصديقةُ مريم، ولادة المسيح الذي كانَ ينتظرهُ الجميع، لكن لا يوجَد هُناك كلام، إشارة، ولادةُ يحيى بعد زمنٍ طويلٍ من حياة زكريا

ولكن الكلامُ بالرّمز وبالوحي، الآيات صريحة هذهِ، المطالب وهذه المضامين الموجودة في الكتابِ الكريم إلى أيِّ شيءٍ تُشير.

تُشير إلى أنَّ أساليب التعليم والتبليغ والإيصال ليست بالضرورة أنْ تكونَ بنفسِ الأسلوب الاعتيادي، الحروف المقطّعة في أوائل السُور هو أسلوبٌ من أساليب الإيصال والتبليغ، إنّها رموز، وطريقةُ زكريا في الكلامِ مع أُمَّتِهِ، وطريقةُ مريم في الحديثِ مع بني إسرائيل، هذهِ أمثلة تُقرِّب لنا أسلوبهم صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم في الحديث، أسلوبُ القُرآنِ وأسلوب العترة، الحروف المقطّعة واضحة في أوائل السُور، إنّها تُشيرُ بشكلٍ واضحٍ صريحٍ أنَّ أحدَ أساليب القُرآن هو الرمز، وقصّة زكريا وقصّة مريم يُشيران إلى أنَّ أحدَ أساليب الأنبياء هو الرمز والإشارة وما هو في الكتابِ هو في حديثِ العترةِ لحقيقةٍ واضحة، الكتابُ والعترةُ متطابقان، الكتابُ صامتٌ والعترةُ ناطقة، وحين أتحدَّثُ عن الكتاب إنَّني لا أتحدَّثُ عن المصحف، هذا مُصحف، والمصحفُ شيء خلقهُ الإنسان، صنَعهُ الإنسان، أوراقٌ وحِبر وحروفٌ رُصِفت بجنبِ بعضها البعض ووِضَعت هكذا بين أيدينا، لأنَّنا لا نستطيع أنْ ننتفعَ من القُرآنِ إلَّا بهذه الطريقة، إنَّني حينَ أتحدَّثُ عن الكتاب أتحدَّثُ عن الحقيقةِ التي هي وراء المصحف، وما المصحف إلّا إشارةٌ لغوية إلى حقيقةِ الكتاب، الكتابُ والعترةُ متطابقان، والكتابُ بحلّتهُ وبمظهرِهِ اللفظي واللغوي والصوتي هو صامتٌ وهم حقيقةٌ ناطقة، لكنَّ الصَّامِت والناطقَ متطابقانِ معاً، فكما أنَّ الصّامِتَ فيهِ رموزن الناطق فيه رموز أيضاً، مُرادي الناطق فيه رموز حديثُ الناطقِ فيه رموز، عليٌّ مع القُرآنِ والقُرآنُ مع عليٍّ، هذا هو التطابُق والتعانُق والاتِّساق والتواصل، إنِّي مُخَلِّفٌ فيكم الثَّقَلَين كِتابَ الله وَعِترَتِي أَهلَ بَيتِي لَنْ يَفْتَرِقَا وأشار بِمُسَبِّحَتيه هكذا صلّى اللهُ عليهِ وآلِه لَنْ يَفْتَرِقَا، لم يقل هكذا، قال هكذا بمسبحتيه للتطابق، لأنَّ المُسَبِّحة والوسطى تختلفانِ بالطول، فجمعَ بينَ مُسَبّحتَيه، هو سمّاها المُسبّحة، الناس تُسمّيها السبَّابة، العربُ كانت تُسمّيها السبَّابة، هو سماها المُسَبِّحة، لأنَّهُ جميلٌ صلَّى الله عليه وآله فكانَ يُجَمِّلُ كُلَّ قَبيح، فسمّى السبابة مُسبِّحة، فَجَمعَ بينَ مُسَبِّحتَيه صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه وسلَّم.

هذه الإشارات وغيرُها تُشير إلى حقيقة التطابُق بينَ الكِتاب الصامت والكِتاب الناطق، وحين أتحدَّثُ عن الكِتابِ الناطق في دائرة الدراسةِ والفهمِ والعلم إنَّني أتحدَّثُ عن حديثهم الشريف صلواتُ اللهِ عليهم، كما أنَّ

الكتابَ في حُلَّتهِ اللغوية كما يقول صادقُ العترة الأطهر: (نَزَل عَلَى أَربَعَةِ أَشْيَاء، عَلَى العِبارةِ والإشارةِ واللطائفِ والحقائق)، حديثُهم كذلك، حديثُهم له لحنهُ الخاص وله معاريضهُ:

- ففيهِ العبائرُ.
- وفيهِ الإشارات.
- وفيه اللطائف.
- وفيه الحقائق.

نفسُ الشيء، كما أنَّ الكتاب عبارةٌ وإشارةٌ ولطيفةٌ وحقيقة كذاك حديثُ أهل بيت العصمة عبارةٌ وإشارةٌ ولطيفةٌ وحقيقة، وما مُصطلح لحنُ القول: (**إنَّا لا نَعدُّ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِنَا فَقِيهاً لَبِيباً عَاقِلاً حَتَّى يُلْحَنَ لَهُ فِي القَوْل فَيَعرِف اللَّحْنَ فِي القَول**) – إلَّا هو إشارة إلى هذهِ القضيّة، لحنُ القول والمعاريض يشيران إلى هذهِ القضيّة: إلى أنَّ حديثهم فيهِ العبارة، والإشارة، واللطيفة، والحقيقة.

كذاك القُرآن ظاهرٌ وباطن، لهُ ظواهر وله بواطن والروايات فصّلت ذلك ولا مجالَ لذكرِ الروايات التي تحدّثت عن هذه المضامين، وربّما مرَّ منها الشيءُ الكثير في هذا البرنامج وفي البرامج السابقة، لكنّني فقط أتلو على مسامعكم ما جاءَ في بصائرِ الدرجات.

في بصائر الدرجات: (**عَنْ الهَيْثَم التَمِيْمِي قَالَ: قَالَ أبو عَبدِ الله** – إمامنا الصّادق – **يَا هَيْثَمُ التَمِيْمِي إنَّ قَوماً آمَنُوا بِالظَّاهِر وَكَفَرُوا بِالبَاطِنْ فَلَمْ يَنْفَعْهُم شَيء وَجَاءَ قَومٌ مِنْ بَعْدِهِم فَآمَنُوا بِالبَاطِنْ وَكَفَرُوا بِالظَّاهِر فَلَمْ يَنْفَعْهُم ذَلِكَ شَيئاً ولا إيْمَان بِظَاهِر ولا بَاطِن إلَّا بِظَاهِرِه**) – لابُدَّ أنْ يكونَ الإيمان إيماناً بظاهرٍ وباطن، لذا نُخاطبهم في زياراتهم الشريفة: (**إنِّي مُؤْمِنٌ بَظَاهِرِكُم وبَاطِنِكُم، بِسِرِّكُمْ وعَلَانِيَتِكُمْ، بِأَوَّلِكُمْ وآخِرِكُمْ، بِشَاهِدِكُم وغَائِبِكُمْ، بِإيَابِكُمْ ورَجْعَتِكُمْ**).

وكُلَّ هذهِ التفاصيل تُشير إلى ظاهرٍ وباطن:

- إلى ظاهرٍ وباطن على مستوى التكوين.

- إلى ظاهرٍ وباطن على مستوى التدوين.
- إلى ظاهرٍ وباطن في عالَم الغيب.
- إلى ظاهرٍ وباطن في عالم الشهادة.
- إلى ظاهرٍ وباطن في العالم الدنيوي.
- إلى ظاهرٍ وباطن في العالم الأخروي.

والقرآنُ له ظاهرٌ وباطن وحديثُهم المُطهّر لهُ ظاهرٌ وباطن، كما أنَّ القُرآن نزل وفقاً لهذا الأسلوب، كما يقول باقرهم وصادقهم صلواتُ اللهِ عليهم: نزل القُرآن بإيّاكِ أعني وأسمعي يا جارة، حديثُهم جاء منظوماً بأسلوب الوجوه، هو نفسُ الأسلوب الذي نزل بهِ القُرآن، إيّاكِ أعني واسمعي يا جارة، الحديثُ موجّهٌ إلى وجهٍ معيّن ويُرادُ منه وجه آخر، وهذا المراد إنَّ القرآن نزل بإيّاكِ أعني واسمعي يا جارة، الحديثُ يتجّهُ إلى وجهٍ معيّن بظاهرهِ ولكن في الحقيقةِ لابُدَّ أنْ يُوجّه إلى وجهٍ آخر، هُوَ هُو حينَ يقول صادقُ العترة صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه: (**إِنِّي لَأَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ عَلَى سَبْعِين وَجه وَلِي مِنْ جَمِيعهَا المَخْرَج**) – أسلوب الوجوه في حديثِ الأئمَّة هُو هُو أسلوب القُرآن، القُرآنُ من واضحاتهِ فيه ناسخٌ ومنسوخ، حديثُ أهل البيت فيه ناسخٌ ومنسوخ.

إذا ما ذهبنا إلى الكافي الشريف فماذا يقول إمامنا الصّادق صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه: (**إنَّ الحَدِيثَ يُنْسَخُ كَمَا يُنْسَخُ القُرآن** – هُوَ هُو نفسُ الأسلوب – **إنَّ الحَدِيثَ يُنْسَخُ كَمَا يُنْسَخُ القُرآن**).

وفي روايةٍ ثانية عن صادقهم: (**فَنَسَخت الأَحادِيثُ بَعضُهَا بَعْضاً**).

وفي روايةٍ ثالثة: (**عَن الحُسَينِ بنِ المُختار عَن بَعضِ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبي عَبدِ الله عَلَيهِ السَّلام قَالَ: أَرَأيتُكَ إنْ حَدَّثْتُكَ بِحَدِيثٍ العَام** – يعني هذهِ السنة – **ثُمَّ جَئتَنِي مِنْ قَابِل فِي السَّنَة القَادِمَة فَحدَّثْتُكَ بِخِلافِه بِأيِّهِما كُنْتَ تَأخُذْ؟ قُلتُ: كُنتُ آخُذُ بِالأَخِير** – بآخر قولٍ تقوله لي يا ابن رسول الله – **فَقَالَ لِي: رَحِمَكَ الله**) – الإمام هنا يُشير إلى أنَّ الحديث ينسخُ الحديث، ولذا كلمة مختصرة عنهم صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين: (خذوا بالأحدث)، لماذا؟ لأنَّ الأحدَثَ ينسخُ الأقدم، خُذوا بالأحدث، خُذوا

بالقول المتأخّرِ منّا، خذوا بقولِ الحي، يعني الإمام الحي، خُذوا بقولِ الإمام الحي، خُذوا بالأحدث، خُذوا بالقولِ المتأخِّر، لماذا؟ لأنَّ الحديث يُنسَخُ كما يُنسَخ القُرآن، كما أنَّ القُرآن فيه مُحكمٌ ومُتشابه، إمامنا الرضا والروايةُ في عيونِ الأخبار لشيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه، ماذا يقول إمامنا الرضا؟ – **(مَنْ رَدَّ مُتَشَابِهَ القُرآن إلَى مُحْكَمِهِ هُدِيَ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم، ثُمَّ قَال: إنَّ فِي أَخْبَارِنا مُتَشَابِهاً كَمُتَشَابِهِ القُرآن ومُحْكَماً كَمُحْكَمِ القُرآن فَرُدُّوا مُتَشَابِهَها إلَى مُحْكَمِهَا ولا تَتّبِعوا مُتَشَابِهَهَا دُونَ مُحْكَمِهَا فَتَضِلُّوا)**.

القُرآنُ نزلَ على العبارةِ والإشارةِ واللطائفِ والحقائق، وحديثُ أهلُ البيت له لحنهُ الخاص ومعاريضهُ ولا تكونوا فقهاء حتّى تعرفوا معاريضَ كلامنا، ومعاريضُ كلامهم هي نفس هذهِ المرات : العبارةُ، والإشارة، واللطائفُ، والحقائق.

القُرآن له ظاهرٌ وباطن، ظواهر عديدة وبواطن عديدة وهو يجري مجرى الشمس والقمر، لهُ حدود ومطالع، كذاك هو حديثُ أهل البيت، حديثُ أهل البيت كلُّ القوانين التي تجري على القرآن تجري عليه، كما أنَّ القُرآن نزل بإيّاكِ أعني واسمعي يا جارة جاء حديثُ أهل البيت بأسلوب الوجوه، كما أنَّ القُرآن فيه ناسخ ومنسوخ ومُحكم ومتشابه كذاك حديثُ أهل البيت.

- **مُلاحظة مُهمّة جداً:**

حينَ نقرأُ روايات أهل البيت وخصوصاً ما يتعلَّق بالمناقشات التي تدور فيما بينهم وبينَ مخالفيهم، دائماً الأئمَّة يحتجُّون ويُناقشونَ مخالفيهم بأنَّكم هل تعرفون الناسخَ من المنسوخ والمُحكَم من المُتشابه من القُرآن؟ وعلى طول الخط كانت معرفةُ الناسخِ والمنسوخ من القُرآن ومعرفةُ المُحكم والمتشابهِ من القُرآن في ثقافة أهل البيت تُعتبَر علامة وعلامة من الدرجة الأولى لتمييز الإمام المعصومِ عن غيرهِ، لتمييز الإمام المنصوبِ من الله عنِ الإمام المنصوبِ من قِبَل الناس، ولا يعني ذلك إلَّا أنَّ التفسير لا يُؤخَذ إلَّا منهم، لأنَّ غيرهم لا يعرفون الناسخ من المنسوخ، ولا يعرفون المُحكم من المتشابه، وهو نفسُ المضمون الموجود في حديث الثقلين، الكِتاب والعِترة لنْ يفترقا، فما في الكتاب من ناسخٍ ومنسوخ ومُحكمٍ ومتشابه لا يعرفهُ المخالفون، كتبوا كُتُباً، إنَّهُم يكتبونَ كما يريدون، لكن الحقائق، هذهِ القضيّة خاصةٌ بأهل بيت العصمة، لِذا على طولِ الخط في

الثقافة الشيعية جُعِلت هذهِ العلامة علامة للتمييّز بين الإمام الإلهي والإمام البشري، بعبارة أخرى بين أئمَّةِ الجِنان وأئمَّة النيران، بينَ أئمَّة الهُدى وأئمَّة الضلال، بين أئمَّة الإسلام وأئمَّة الكُفر، جُعِلت هي هذهِ الميزة، وهذهِ واضحة لمن أراد أنْ يُراجع أحاديثَ أهل بيت العصمة.

لكنَّ الغريب المسألة الثانية التي هي صنو المسألة الأولى لم تُطرَح في الوسط العلمي الشيعي، ما يتعلَّق بالقُرآن واضح فالأمرُ للتمييّز بين أئمَّة الحقّ وأئمَّة الضلال، لكن ما يرتبط بحديثِ أهل البيت وما يرتبط بمعرفة الناسخِ والمنسوخ والمُحكَمِ والمُتشابَه من حديثِ أهل البيت لابُدَّ أنْ يكون علامةً فارقةً تُميّزُ بينَ الفقيهِ المرضي عندَ أهل البيت وبين الفقيه الذي يتّبعُ وسائل وأساليب أخرى، ولن يستطيع الفقيه أنْ يُميّزَ بين الناسخ والمنسوخ والمُحكَم والمُتشابه ما لم يكن على موسوعيةٍ في حديثِ أهل البيت وما لم يَكُن متجنِّباً تمام التجنُّب المناهج البحثية والعلمية التي جيء بها من المخالفين، لأنَّهُ لن يستطيع أنْ يُميّز الناسخَ والمنسوخ والمُحكَم والمُتشابه من حديثِ أهل البيت بمنهجٍ يؤتى به من أعداء أهل البيت، لا يعرفون أسلوبهم ولا يميّزون طريقتهم ولا يتذوّقونَ لحنَهُم، لابُدَّ أنْ يكون هُناك ميزان موجود في داخل حديثِ أهل البيت لتمييّز الناسخ من المنسوخ والمُحكم والمُتشابه.

أزعمُ أنَّ هذا الميزان هو منهجُ لحنِ القول، وفقاً لقواعدهِ وأصولهِ نستطيع أنْ نُميِّز بين الناسخ والمنسوخ، بين المُحكم والمتشابه من حديثِ أهل البيت، وإلَّا ليس من المنطقي أنَّ أهل البيت ينسجون حديثهم ناسخاً ومنسوخاً ومُحكماً ومتشابهاً ولم يضعوا قواعد في داخلِ حديثهم لتمييّز هذهِ المعاني المختلفة لتمييّز الناسخِ من المنسوخ والمُحكم من المُتشابه، لكنَّ الطامَّة الكبرى أنَّ الموجود في مؤسّستنا الدينية العلمية هو المنهج الذي جيء به من مخالفي أهل البيت وأعدائهم، هذهِ الحقيقة التي لا يُريد أحد أنْ يُصدّقها، وتُرِكَ حديثُ أهل البيت بأصولهِ وقواعدهِ بعدَ أنْ مُزِّقَ بقواعدِ علم الرجالِ التي جِيء بها من أعداءِ أهل بيت العصمة صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين.

الحديث يَطول ويَطول ويطول وأنا هنا في مقامِ الإيجاز والاختصار، إلى أين أريد أنْ أصل؟

أريد أنْ أصل إلى هذهِ النتيجة: أنَّ حديثَ العترةِ كحديثِ القُرآن، كلامُ القُرآنِ وكلامُ العترةِ يحملانِ نفس الخصائص، نفس المواصفات، فكما أنَّ القُرآن فيهِ الرموز والإشارات كذاكَ حديث العترة فيهِ الرموز والإشارات، فإذا أردنا أنْ نفهم حديثَ العترةِ بكلِّ تفاصيلهِ لابُدَّ أن نعرف رموز الحديث وإشارات الحديث ومعاريض الحديث، للحديثِ بقيّةٌ تأتينا في حلقةِ يوم غد إنْ شاء اللهُ تعالى، نذهب إلى الفاصل الأخير، إلى زيارة البدنِ السليب، ملّا باسم وخَدَمَة الحُسين وأنتم وخادمكم.

ألقاكم غداً إنْ شاء اللهُ تعالى في حلقةٍ جديدةٍ من برنامجنا (الثَّائِرُ الحسينيُّ الوفي المُختارُ الثقفي)، ألقاكم على مودَّةِ ومحبَّةِ ووَلاية مُهجَة الحُسين ونور عينِ الحُسين الحُجَّةِ بن الحسن إمام زمانِنا صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه.

سَلامٌ عَلَى نَحْرِكَ الدَّامِي يَا حُسَيْنْ...

في أمَانِ الله..

*** برنامج " الثائر الحسيني الوفي المختار الثقفي" متوفّر بالفيديو والأوديو على موقع زهرائيّون**

www.zahraun.com